# سيميائية - الصورة - والخبر

أ. د. عقيل مهدي

جامعة بغداد / كلية الفنون الجميلة

## مقدمة

بات من المسلمات النظر الى السيمياء ، بانها مدخلُ منهجيُ، يجمع مناهج اكاديمية واعية، متنوعة، نفسية، واجتماعية، وبنيوية، وتفكيكية.. في زمن تكنولوجيا الاتصالات التي وجدها (مارشال ماكلوهان) بأنها استطاعت ان تمدد « اجسادنا» وحواسنا، فقربت إلينا البعيد، وجعلتنا نصغي اليه، ونقرأه ، ونكتبه، ونحاوره، وبات الخطاب الإعلامي يتوفر على بنية عميقة واخرى سطحية تنتجها الاولى، بما تمتلكه من خلفيات اجتماعية وثقافية وتاريخية، في سياق يربط الصورة بالكلمة، اذ يجري « تصنيع المعاني» – في كل مكان حسب توصيف (جوناتان) في الموضة، وفي الفنون قاطبة ، ومن « علاماتها» يمكننا تحليل « المعنى»، في الإعلام، والتواصلية من خلال الاعلان، والمجلات، والصحف، والتلفزيون ، والانترنيت. لذلك انشغلت السيمياء بكيفية عمل العلامات، وعلاقتها ببعضها وبالمجتع المعين، وبالافراد ولكل بعده ( الاتنوغرافي) المتغير والمختلف حسب ثقافته واهوائه.

الامر الذي يوسع حقل السيمياء الى مديات اوسع من ارتباطها ببنية محددة ، بل تنفتح على شيفرات ، وبنى متنوعة وايدلوجيات متصارعة حيث تقرأ ( العلامات) بطرائق مختلفة، ومتناصة مع نصوص اخرى .

وهنا تفرض السيميائية اجراءاتها تكييفاً منهجياً خاصاً ، نظراً لاشتباك المعاني العديدة، وتقاطعها في نقطة واحدة ، ووقت واحد، مما يجعلنا نلاحق هذه المعاني، المتدفقة، لاتخاذ موقف منها ، او تفسير محدد ، او تأويل خاص ، من زوايا التلقي المختلفة لجمهور القراء ، والمشاهدين، والمستمعين، بأسلوب من التحليل والتركيب، وإعادة أنتاح ( الواقعة) الإعلامية، في ضرب من اصطراع الهويات، وتحولاتها ، وأنساق الثابت والمتحول، وتشكيل الذات الافتراضية، الالكترونية مع الاخر غير المحسوس واقعياً ، بل صورة ذهنية، هلامية

مجـردة، باتـت فيـه الثقافة التكنولوجية (الافتراضية ) هي التي تصنع انسـان القرن الحالي لما تبثـه مـن ( قيـم ) جديـدة، فـي الثقافة الإعلاميـة، وتبقى السـيمياء طرفاً فاعـلاً ، بين اطراف منهجيـة فاعلـة هـي الاخـرى، على وفق ما تـروم الخوض في اشـكالاته ، وتفسـير جانباً من جوانبـه بمنهج تحليلي متماسـك.

**سنحاول – هنا- تتبع فاعلية سيميائية ( الصورة) في الإعلام.**

## مشكلة البحث

**تطرح ( السيميائية) إشكالاً معقداً ، يخص قضية**

**( المعنـى) فـي بعـد علاماتي يربـط مابين : بنية الصورة» و « فاعليـة الصحفي وكفاءته « و» حضـور العالم الخارجي» .**

**الامـر الـذي يحيلنـا عنـد محاولة امسـاك الدلالـة على توفـر خصائص مهاريـة ، وقدرات ادراكيـة، وابعـاد نفسـية في قراءة سـيميائية الصورة، وفضاء الفرجة وحضور الجسـد البشـري ، وثنائيـة (الاثارة– الاسـتجابة) في التراسـل بين (الباث) و (المتلقـي) بتأويلات مفتوحة، بغية الوصـول الـى تعريـة (المسـكوت عنـه) ، وفضـح زيفه امـام الرأي العـام ، من خـلال برنامج سـيميائي تواصلـي واتصالـي يجمع الفواعل واهواء هـم ويبين طرائق تفاعلاتهـم مع ( المحيط) ، واسـاليب تفهـم المعنـى، للخروج بـدلالات مختلفة لـكل واحد منهم.**

**السؤال : ماطبيعة العلاقة، الجامعة بين ( الصورة) و (الخبر) في الإعلام ؟**

## هدف البحث

**الكشـف عـن شـبكة المعانـي فـي الإعـلام ، سـيميائياً بتفكيكهـا ، وتبيـان حركتها داخل الحيـاة المجتمعيـة المحيـط بنا .**

## اهمية البحث

**يفيد منه طلبة الإعلام –الفنون –الصحافة.**

## حدود البحث

يخص سيميائية الصورة الإعلامية في الفضاء العام .

**بات من الواضح ان تقوم سـيميائية الإعلام , بشـحذ مهارات علاماتية وقدرات تفسـيرية ,**

للمجمل العالمي الثقافي حسب ما يذهب اليه ( جون تومليسون ) , حيث يكون « المواطن المثالي الكوزموبوليتاني « وهو « المشتمل على الانفتاح والفضول الثقافي ) ,متميّزا لانه يمتلك ( قدرة أساسية على تخطيط الاماكن و» الثقافات « تاريخياً , وجغرافيا , وانسانياً , بعلامات ورموز وشفرات , حتى « الأماكن « تصبح سلعاً استهلاكية , ومتعة عامة من خلال السياحة , لسياح كوزموبوليتانيين قابعين في غرفهم داخل الفنادق , والمنتجعات , وهو حيز ثقافي تتقاطع فيه أنماط ثقافية متنوعة وتصطدم فيه الايدلوجيات وتتفكك هويات محلية , حيث تتعامل معها وسائل الإعلام الدولية , بما ينسجم وحقيقة ( التنوع) العالمي الراهن . حتى باتت « العلاقات العاطفية « منمذجة – مثلاً – على نسق « غير شخصي « من خلال صورة « لامرأة شقراء « تحتضن كرة بلاستيكية لخارطة العالم , او على مستوى « شخصي « لصورة ( امرأة هندية ) محلية تحتضن شجرة , خوفا عليها من الاقتلاع , هنا يتقدم ( النمط الرمزي ) الأشقر والأسمر , في العملية الإعلامية , بوصفه جزء من عملية كلية , وهو يجمع في بعده الثقافي – حسب انتوني جيذنر – بين البعد الخارجي للعولمة , والبعد الداخلي, أي التحولات الكبرى العالمية وعلاقتها بتبدلات تجربتنا اليومية , وحميميتها , فتجد الصدى الرمزي لهذا التفاعل أفضليتها بالصحف, والكتب, والأقراص المدمجة, وهذه (أشكال) مادية لمعاني رمزية مثالية مع تدفقات الكترونية مرئية أخرى عبر الأثير التلفزيوني, الانترنيت, الأقمار الاصطناعية ..

لتغرينا بسعادة مثالية , عابرة للقارات, عبر توظيف (الاعلانات) عن هوية عالمية مشتركة, توفر إشباعاً بشريا لحاجاتنا الداخلية, كأن تكون لأجساد أنثوية أو ذكورية, عابرة لحدودنا الوطنية, ولمعاييرنا الاخلاقية. قد يرفضها واحد مثل (ادرنو) و(هوركهايمر) الالمانيان, لارتباطها بأغراض رأسمالية (وسيلية) في طريقة توظيفها نفعياً , التي تتلاعب باطارنا المفاهيمي, الذي ندرك من خلاله العالم .

بات فضاء الإعلام , يجمع خرائط الكرة الأرضية (المطلق), (بالنسبي) الثقافي , من خلال البعد التكنولوجي حين ( نخاطب عبر الأثير بعضنا كلّ من جهته من الشرق الى الغرب , عبر فضاء (مجازي) خاص بآرائنا الشخصية , الذي يصطنع , واقعاً افتراضياً ( ايكولوجيا حضرية) غير ملموسة في أرض الواقع او في المحيط الاجتماعي الذي نعيشه محلياً , لكن ( آثاره ) تبقى مزلزلة لعلاقاتنا الاجتماعية , الحاضرة والمستقبلية .

هنا , يجتمع في الميديا الإعلامية , المطلق (الاحصائي) الكمي, مع نسبية الفضاءات الخاصة التمييز كـ(الجندر), (العرق), (الفقر) ومجازية الهويات الهجينة. للاعلام, سيمياء

خاصة, تركّز طريقة نظرتنا الى العالم وهنا تبرز علاقة اشكالية , حول موضوعة ( الارهاب العالمي ) , عندما يصبّ اجراءاته السوقية في مواقع خاصة ( مثل بلدنا العراق ) وبذلك تكون أدوات قياسنا مختلفة لما يسوّقه الإعلام الغربي , وما يتضمنه من صراعات سياسية , اجتماعية (واقعية مادية ) حقيقية او ما يبثه من ذرائع أيدلوجية , في طريقة تلقينا ( الانطولوجي ) للظواهر الخاصة بفهمنا للصراعات العالمية , بين مقولات مادية واخرى مثالية , بين دوائر قومية وعالمية او سلالم الفوق المتحضر والأدنى المتخلف في شكل هرمي , او تداخل حجوم مختلفة ( كالدمية الروسية) – ماتروشكا – تؤلف كلا متلاحماً مركب ببعضها البعض او ( شبكات ) تحتية مترابطة الجذور, بلا مقاييس تقيّد تفكيرنا في عالم مترامي الأطراف ( انظر ص ٦٠-٦٤- جغرافية العولمة) . وأمكنة : تجريبية (حسبما نكون على الأرض) ومعيارية (تحتفي بالأصالة) ومعرفية , (موقع الافكار ووجهات النظر) . ويوجز ( كرانغ ) طريقة الإعلام في وضع « المفاهيم « , فيكون العالم (رقعة فسيفساء ) من قطع صغيرة , أو ( انظمة ) يعتليها الغرب , بأعمدة على قاعدة ( افريقيا ) أو ( شبكة ) تربط العالم عرضا وطولاً . هناك حيث (تسمع نشرات الاخبار, في أية زاوية ينحشر فيها الانسان ليستجيب اليه العالم) كله .

وتقوم : علاقة بين اتجاهين , لا ينفصل فيها العالمي عن المحلي , اذ ( يوجد المحلي داخل العالمي , والعالمي داخل المحلي « ص ٧١ المصدر السابق) . باتت اللغة الإعلامية , مندرجة « سيميائيا « بطرق (تخييلية) تخص اللغات العالمية , ولا تحصر في اطار لغة (احادية), وكما يقول (امبرتو ايكو)– الترجمة هي لغة اوروبا – ( تعدّدية لغوية ) . فالعولمة تجعلنا على احتكاك مع هذا التنوع والتعدد اللغوي , وكل لغة شبكة تسدل على « منظر « العالم المتراكب , والمتشابك, والمتداخل .

بوصف ان الترجمة توفر لنا (معرفة) باللغات , حتى ان كنا لا نعرفها , لذلك يؤكد (نيتشه) على ان « كل لغة مهمة في حد ذاتها « (ص٣٧ ) حتى باتت – مثلا – اوروبا ( فضاء بلا حدود داخلية) مع حفاظ كل دولة على جذورها وتقاليدها , وربما تعبر ( صورة انشتاين ) وهو يمد « لسانه « ساخراً « عن معنيين : السخرية السافرة المباشرة , وكذلك ( اللسان ) الممدود , الذي يرمز للغة التي تُظهر العلم وليس العكس , حيث باتت اللغة اتصالية تنفتح فيها المجتمعات على بعضها البعض . في نص واصف ( ميتا نص ) وهو المترجم مثلاً , من نص أصلي وكأن يكون عربي مترجم الى الانجليزية, وبذلك تأخذ اللغة المترجمة اعلامياً تصنيفا (تيبولوجياً) Typologie ووصفاً ( افقيا ) كالإعلام المغاربي

العربي في فرنسا , – مثلا – بلغة متساوية ومتقاربة و (عموديا) من لغة « قليلة التداول « منخفضة الى « وضعية أعلى « مثل ترجمة (القرآن) من قبل لغة افريقية محلية , – والعكس أفلام, وصحافة , أمريكية . تترجم الى اللغة السواحلية , او تتم دبلجتها بلغة وطنية. الاولى تتسلق, الى الاعلى, والثانية تنحدر الى الاسفل , وكلتا الحالتين , يتم فيها تثمين التجارب الانسانية (اعلامياً) والتأكيد على تنوع المرجعيات الثقافية, سيميائياً أو يتم تبادل الرأسمال الثقافي في بحث اعلامي للتواصل , بتبادل الكلمات , والصور, والاحداث , بسرعة الومظة , الخاطفة, المسموعة والمرئية , والمقروءة , المحفزة للتأويل والتلقي وتوظيف ذكاء البشر اينما كانوا .

## تعدّدية اللغات وتنوّعها

نجد اليوم ان (الاتحاد الاوروبي) – مثلا– يضم (٢٣) لغة رسمية, متفرعة , وكل مكون منها يتكلم ( لغة واحدة) وقد يتحدث فرد بلغات مختلفة , هناك اذن « تنوع « لغوي في مواقع الانترنيت والمعلومات, وهناك أفراد (متعددي) اللغات , وهذا الامر أفرز في سيمياء الإعلام (العولمية ) ثقافات (اثنية , لغوية ودينية) , وكذلك أطر نوعية الموقف منها بين الرفض والقبول قد تكون : سياسية , تضم فضاءاً شعبيا وفضاء مؤسساتياً في دولة ما, او تخص ثقافة المهاجرين, وهي اما ان تشجع او تقمع عنصريا وتشوّه , مدعومة من قبل سياسات ( تطوعية), بمثل هذه التعددية قد يعمق حوار بين الثقافات , في عولمة (ثالثة) كما ينبغي ايضاً, متابعة الإعلام , وهو يركز على ( التنوع ) الثقافي , لاختلاف ثقافات العالم , فاليونيسكو , تحرص على مثل هذا (التنوع ) , وتشجع التغير الثقافي , وبنظرة ( ابسيتمولوجية ) , وهي نظرة عامة للمعرفة تشمل العلوم الانشائية , والصورة , والطبيعة ( الترجمة والعولمة : ص١٣٤ ) من أجل تكريس التوازن بين ( المركز والهامش)

تقوم المؤسسة الإعلامية , بترسيخ التنمية بجوانبها الشاملة , اجتماعيا وسلوكياً, وترفيهياً, من وجهة نظر حضارية , وتقترح حلولا للرأي العام فيما يخصّ مشكلاتها المحلية والعالمية , وترتبط بطبقة المجتمع وتطوره السياسي في محاولتها للتأثير على الملتقي من خلال تبادل سيميائي قائم على ( رموز ) ودلالات ( لفظية – كتابية – صورية ) أو عقلية , طبيعية , اصطلاحية . او ايقونات دلالية متفق عليها اجتماعياً في معناها الاشاري في بلد ما , او اعلامية فنية خاصة لها نظامها الجمالي بعيداً عن النفعية , او تخص الجانب القائم على العالم والتكنولوجيا والافادة منها , وتوظيف « الخبر « الذي يغني الحياة , ويوفر المعلومات عنها نظر لحداثته وصدقه ومنطقيته , لصوغ رأي عام فيه من الثوابت والمتغيرات

التـي تخـص حيـاة المجمـع وعقائـده وقيمـه الاخلاقيـة , ومثلـه , في عـدم السـماح بتنميط الانسـان وكأنه سـلعة تجارية او أداة للمحرقة والمهالك في كليانية الدولة , وشـموليتها العنفية الصارمة . أو ما يسـمى (بالتوتاليتارية ) الإعلامية التي تضم البصري , والسـمعي , والحركي , والذهـن فـي شـبكة دلالية ) Semantic Nets ) تتحرك فيه العيـن وتدور صعودا وهبوطا.

## الإعلام والعولمـة

ولأن سـيمياء الإعـلام , باتـت مـن ضمـن مكونـات الخطـاب الثقافـي العام فاننـا, نجدها حاضـرة بتميـز , فـي الحـوار الخـاص بجماليـات الفنـون وعلاقتهـا العضوية مـع ( العولمة ) وتشـظي (قيمهـا) الاجتماعيـة والثقافية وكذلك في طرائق تلقيها عبـر ( ميديا ) الإعلام الكوني , الـذي يتوجـب عليـه ادراك التطـور العالمـي فـي متغيراته الكاسـخة , مما يفضـي الى اعادة ترتيـب موقفنـا مـن العالـم , على وفق تدرجات المؤشـر اليومي لتدفق الاحـداث , لخلق تحول نوعـي , موضوعـي , مـن هـذا التراكم ونقله مـن منطقة التعثر والفوضى , الـى حالة حضارية تقتـرن طموحاتهـا بالمسـتقبل , أكثـر مـن انكفائهـا علـى الماضـي , باعـادة قـراءة الاحداث مـن منظـور جديـد , متفاعـل مـع حركـة « الاتصـال « و « التواصل « مع المنجـز الحضاري المتقدم , للمجتمعات الناشـطة , والمتنامية , والحارسـة لحقوق الانسـان , وحفظ كرامة المرأة والطفولـة , وحـق الانسـان فـي اختيار نمط الحيـاة التي يرغبها , والعمل الذي يسـتهويه , بلا اكراهـات عنصريـة , او دينيـة او عقائديـة , ضاغطـة , ومدمرة لحريته , واسـتقلال ارادته .

(الصـورة) الإعلاميـة بتكوينهـا (الهرمـي ) المسـتقر علـى الصفحـة او فـي التلفزيـون , والسـينما , ومواقـع الانترنيـت , او ( المسـتطيل ) الموحـي بالقـوة , و ( الدائـري ) اللانهائي , و(البيضـوي ) الناعـم , و ( الحلزونـي ) المعقـد , و ( المنحنـي ) بايقاعـه المفتـوح , و( الاشـعاعي ) الصـادم , وكذلـك ( الخطـوط ) المتصادمـة ,والانحنـاءات كلهـا تمتلـك ابعـادا سـيميائية تسـهم فـي خلق وحـدة تصميمية متنوعة قد يحتـل الواجهة الخبـر المرتبط بالصورة السـائدة , أو تتقـدم الصـورة لتحيلنـا الـى مشـهد حياتـي , موثق بعمقـه الفضائـي وديناميته , او يبـرز لنـا اختـلال النسـب وانسـجامها مـع المحيـط الخاص بالصـورة لتعكـس طائفة من الانفعـالات , او المواقـف الفكريـة فـي سـيميائية العلامـة , بيـن طرفـي التوهـج , والانطفاء لأحـداث هـذا العالم وشـخصياته , وافكاره وصراعاته , بايقاعات وتوازنات وتماثلات ( هندسـية ) , وبألـوان مبهـرة , او منفـرة , لتسـتكمل الدائـرة نشـاطها الحركـي المؤثـر من خـلال فعالية القـارئ القـادر علـى ادارة الفهم فـي تلقي المعلومة والخبـر , بدراية وقراءة سـيميائية واعية , ومتفهمة لتفكيك الخطاب الإعلامي المعاصر , والنشـاط الاتصالي وآليات تأثيره في تشـكيل «

الـرأي العـام « والتصدي الى الارهاب والجرائم الرأسـمالية الطاغية المنتهكة لسـيادة الدول في عالـم رقمـي , ونظام الوسـائط الإعلامية المتعددة , والاحتـكار الصناعي والإعلامي , الامريكي , وسـواه مـن دول اوروبـا للتلاعـب بالعقـول , وتزييـف صـورة الواقـع الحقيقـي عبـر (ميديا ) الإعـلام , ولكـن مـن جهـة مقابلـة تبقـى ( الصحافة ) بمعناهـا الاخلاقي والوطنـي الحارس الأميـن على مصالح الشـعوب .

## الإعلام الوطنـي

وهـذا هـو النمـوذج المنهجـي الأمثـل , فـي خصائـص الإعـلام الوطنـي , ولا يتحقـق الأنمـوذج المنهجـي فـي الإعـلام الا حيـن يتـم التعـرف , مـن خـلال المسـح العـام , علـى الاتجاهـات المفهوميـة والقيميـة لمجموعـة مـن النـاس , والأخـذ بتحليـل مضامين الوسـائط المضمـرة للأسـاليب , والدعايـات لتأطيـر مـدى تقبّـل المتلقيـن لهـا, ويتـمّ هـذا مـن خـلال تحليـل الرمـوز الاتصاليـة للغـة الإعلاميـة , ومعرفـة مقاصـد القائميـن علـى المؤسسـة الإعلاميـة وتأشـير مواقـع (الفراغـات البيضـاء) , التـي تحفّـز القـارئ علـى ملئهـا بالدلالـة المطلوبـة , التـي تقـرن (العنـوان) بمـا تسـتحثه ( الصـورة ) مـن تحفيـزات قرائيـة للمغـزى المـراد ايصالـه ومـا يكتنفـه مـن صراعـات محتدمة بين أطـراف سياسـية , ومجتمعيـة تبحث عـن حلـول لمآزقهـا الراهنـة المتوزعـة بين فعـل ايجابي او سـلبي ولـكل طـرف مبرراته فيما يحمـل مـن قناعـات خاصـة, كمـا يحصـل في شـعوب العالـم الثالـث ومنـه عالمنـا العربي , تقتـرن صدقيـة الخبـر والمعلومـة بالتحليل الجـاد من قبل القـارئ للخروج مـن نمطية الصورة الجامـدة وصـولاً الـى تحليـل موضوعي رصيـن و التعرّف على طرائـق فكّ ترميزات الرسـالة و مسـافة التأثـر بهـا الذي يكرّسـه نظـام الصـورة , والكتابـة , والتعليق من خـلال التعرّف على أبعادهـا البنائيـة وفعالياتهـا المبرمجة لسـلوك الرأي العـام , واتخاذ وجهة نظـر حرة فاعلة من ظواهـر المجتمـع السـلبية والمتخلفـة , عبر نقـاش مثمـر , والاتيان بحجج مقنعـة , لامتلاك المعنـى وتحليـل المفاهيـم بمنهجية وخطـاب عقلاني يبتعد عـن التهويش الإعلامي الشـعبوي السطحي, ولا يتم هذا الاّ حين تتبيـن العلاقة السيميائية في تداولها الدلالي في سياق خارجي مجتمعـي , وقيـم اخلاقيـة, وسياسـية , وحجاجيـة , تجعـل لـكل مقـام مقـال , يحـوّل اللفظة المجردة الى سـلوك تداولي واجرائي خاص , حيث يسـتبدل الاراء السـطحية الزائفة بأخرى اكثر جـدوى للنـاس وابعـد عن التحريف والانتحال الـكاذب او الضياع في شـعارات مضللة , تخندق النـاس فـي كهـوف طائفية , وعرقية , لتصبح مبشّـرة بهويـات ضيقة قاتلة تدفـع الابرياء الى محـارق اصطنعتهـا مصالـح المتنفذيـن اصحاب السـلطة القهريـة , الذين يسـوّقون برامجهم

بأفانين مزوّقة , تعتورها عواطف مريضة مهتاجة , تضخّ أفكاراً وهمية مختلقة , ومعلومات زائفة عن هذا الطرف او ذاك , ويبقى مثل هذا الخطاب الإعلامي أجوفاً وبلا جدارة ولا يفضي بنا الى الخلاص , اذ تتغوّل فيه ( العقيدة ) المتحجّرة وتهيمن ( المصالح ) النهمة , على الاعتدال المطلوب بانتقائية وبائية تخلو من الصدق ومن جديّة الحفر المعرفي , او ما يتطلبه التطور التاريخي من دراية , وبذلك تنعدم المرجعيات بمسمياتها الاصلية , بدلاً من أن يتم التأكيد على فاعلية البشر في مجتمعاتهم المشكّلة لأفكارهم وشخصياتهم وما يتمتعون به من كفاءات ذاتية خاصة , تحرّك ( الفضاء العام ) من حولهم , الذي يتفاعل فيه الجانب المعنوي برمزيته الفكرية والحضارية مع المادي الملموس بتقنياته وادواته ضمن اعراف المجتمع , وحريته الإعلامية الديمقراطية .

## الصورة محوراً اتصالياً :

تمثل ( الصورة ) محورا (اتصاليا ) على الصعيد الرسمي , والجماهيري وتتفوق في محورها هذا , على الركائز ( الثقافية ) وحتى ( الإعلامية ) كما يذهب الى هذا , ( ايناسيورامونه ) , ويعزو هذا التفوق الى ما تمارسه التكتلات الاحتكارية , بفعل امتلاكها للاقتصاد والتقنيات , برأسمال ضخم من شأنه ان يجعل من ثقافة الاتصال , الملهمة بالحلم الامريكي , هدفا عولميا يكرّس اعلاما جماهيريا كونيا , وشمولية ثقافية عالمية . حتى بات هاجس الربح , أكثر اهمية من الحقيقة نفسها , لأن الواقع الموضوعي , المعاش , جرى تحويله من خلال أنماط ( الصورة ) – الشخصية « البورتريت « لاسيما شخصيات الرؤساء , والمشاهير , الى كائنات حلمية ساحرة وحتى صور الشخصيات المغمورة التي يجيد فنانو الفوتوغراف التقاطها , حين يتم نقلها من جانب الظل , الى النور , وتسليط الضوء المبهر عليها , سواء في نشر هذه الصور في الصحف , والمجلات , ومواقع الانترنيت , او من خلال تحريك « الصورة « في في نسق تلفزيوني , او سينمائي , و وضع « سيناريو « و « مونتاج « و « استوديو « جاهز قد ( يسبق ) الحدث , او ( يعقبه) , للايحاء بعفويته , وكأنه يحدث للمرة الاولى , ومن خلال هذا التأطير الممسرح والسردي , ضمن « حبكة « يتحقق فيها الكثير من الانفعال , والتهييج العاطفي , وتطمس من خلالها فعالية المتلقي النقدية , لتمرير الخطاب الذي يسوقه صاحب ( القناة ) الاتصالية , فيصبح ( المزيّف ) هو المطلوب معالجته برتوش افتراضية فنية وجمالية , ويحذف ( الحقيقي ) من الاخبار ومن الشخصيات وتجرد منه دلالاته الرمزية والمعنوية والسياسية , كالّذي بات فيه ( كلينتون و مونيكا ) , و ( الاميرة ديانا ودودي الفايد) و ( كاسترو و مارلين مونرو ) , و ( شاوشيسكو وزوجته ) , باتوا كلهم مجرّد ايقونات متخيلة , لتموجات عالمية تصب في

مصب خارجي هامشي , مقترح من قبل مديري هذه المؤسسات الإعلامية , لتهييج الشعوب , بعلاقات مضخّمة وباغواءات غرامية وقاتلة ! , لأخذهم بعيداً عن ( المغزى ) الخاص بالسياسات الامبريالية الكاسحة , ضد مصالح الشعوب قاطبة.

بمثل هذا الاصطياد « للصور « يتحول الخبر الشخصي الخاص بانسان ما الى فضيحة شعبية علنية عامة , في ( عولمة انفعالية ) حيث أطلق موت الاميرة ( ديانا ) كما يحدد ( ايناسيو ) : « نحيباً عالمياً مدويّا « , وكأنه طقس ديني او يكاد يضارع ويتفوّق حتى على صور حادثة اغتيال ( جون كينيدي ) .

## الخبر فرجة :

هذه ( الفرجة ) او ( السبكتاكل ) المسرحي التجاري , يغادر الطريقة الاستقصائية , ويروج للفضائحية الاغرائية , يمرّ عبر قنوات الاتصال , التي تخلق ( الموضة ) الاستهوائية , بتجزئة الخبر , وتقطيعه ( مونتاجياً ) الى مقاطع انفعالية استعراضية طاغية , تندرج في تيارها الكاسح أمثال هذه الصور بفضل اعلام غير مادي ( سيبيرني ) عبر تجمعات لشركات احتكارية في الاتصالات , التي تحذف ما تشاء او تمنع معلومة او خبر , او تفصيل , لتحجبه عن الرأي العام , او تضيف ( الكلمة ) الشارحة ( للصورة ) الخبرية او تزحزح صورة ( البورتريت) الشخصي , لتظهر خلفية رائقة له , لتجمّل هذه الشخصية الرئيسة وكأنه ( ملاك ) يقف وخلفه الجنان والبحيرات الساحرة والازاهير والطيور المغرّدة الملونة الزاهية , كما فعلوا مع الرئيس الامريكي ( ريغان ) وهو يخوض اتفاقات حول قضايا حربية عالمية , وكانه رسول سلام ! .

وبمثل تراسل الحواس في الصورة , يتم التراسل كذلك بين ( الإعلام) و ( الفنون ) وعلى سبيل المثال , ان كاتب هذه السطور كتب نصاً مسرحيا بعنوان : ( صاحب الأثر ) , ليظهر لنا عبر صور مشهدية مسرحية ما تقوم به ( ميديا الإعلام ) من خلق منظومة ادائية وتكوينات مبهرة , شهيرة , لشخصية ( نكرة ) بائسة تخدم مصالح شركات الإعلام وهنا يأخذ العنف الرمزي دوره عبر ( الحوار ) المسرحي كالذي يحدده , ( بيير بورديو ) حين يتحدث عن العنف الرمزي الذي يمارسه ( الصحفي ) عبر الكلمة , وينقل اشكال الجهل وقلّة الوعي وهنا تكمن مسؤولية الصحفي الملتزم الذي يفضح امثال هذا التلاعب بالعقول .

## حروب الميديا

بل يصل الأمر الى قيام حروب مدمرة مثل (حرب الخليج ) وكأنها لم تقع وهو عنوان كتاب ( بودريار ) الذي يبين علاقة تسلّط النظام حين يزداد طغيانه , (بالمخيلة ) التي

ترافقه بهذا الازدياد والمتعلّق بأدنى خفايا النظام وتقلباته . وهذا ما تكرّسه ( الأتمتة الشاملة ) , و(الرقميات ) و ( الانترنيت ) و تقنيات ( الفوتوشوب ) القابلة للتحريف والاضافة والنقصان , وكل هذا يدل على طغيان الصورة في فضاءات مفتوحة , فضلا عن ما تضفيه الالوان من دعم وترسيخ لمثل هذه الصور , حتى ان كانت الصورة تعكس فضلات موكب الفرسان , في زفاف الامير ( شارل ) كما يحدد ( امبرتو ايكو ) ذلك , حيث ابتلعت الخيول أقراص ملونة قبل موسم الاحتفال , ليصبح ( الروث ) بلون زيتي يتناغم مع تلوين الصورة التلفزيوني المطلوب , او ان يصبح ( الماء ) المسفوح على مدرجات (الأقصر) , في مصر , الذي ذهب ضحيته بعض من السواح السويسريين , يصبح الماء وكأنه دما قانياً , ليتلائم مع ضرورة أظهار الصورة , عبر التلفزيون , وينسجم مع ( نصوعها ) البصري .

## ابتذال الصورة :

كما يمكن ( للصورة ) ان تكون مبتذلة , سوقية , فيما يطلق عليه ( تلفزيون القمامة), التي ترتبط بروابط اتصال تفاعلية مع الجمهور العام . او كما ينقل ( تلفزيون الواقع ) من احداث ( صادمة ) كأن تتحدث ( البغايا ) و ( النسوة الاخريات ) , عن تجاربهن الحميمة , او ينقل حدث مزدان باسلوب سينمائي ( هوليودي ) بامتياز حيث تحلّق الطائرات وتحف سيارات النجدة والاسعاف , لتنقل لنا خبر ( انتحار ) رجل مسحوق و يتوقف بث برنامج كان مخصصاً للأطفال , ليصدمنا بمثل هذه الفجائعية الخارجية لانتحار هذا الرجل .

قد يستدعى ( الخبر الخارجي ) الى ( داخل الاستوديو ) على وفق قناعة ترى , ان (المجرّد ) لا وجود له ( انطولوجيا ) , فيجري للتعويض عن ذلك باصطناع مشهد والاتيان بشخصية سياسية , رجلا او امرأة , ليصبح كل واحد منهما هو الحزب , وهو الدولة , عبر جسده البشري الذي يحتك ويصطدم ويغوي ويحقّر _ جسدا ( مناوئاً ) وخصما عنيفا , ينبغي الفتك به , وبهذا يصبح لقمة سائغة لكاميرات النقل المباشر الحي , وبالتالي يتم في هذا السياق تناسي ( الافكار ) وصراعاتها , من خلال ( اسلوب ) تصوير هذه الصورة البشرية المادية , فليس المهم مقدار الحقيقة في الصورة , بل المهم (كيفية توظيفها ) و ( تقديمها ) للمتلقي بشكل مؤثر جذاب .

ألم يقل ( اوسكار وايلد ) ان « الحقيقة ببساطة هي مسألة أسلوب « باتت قوانين الاخراج السينمي والتفزيوني والمسرحي للصورة , هي التي يقع عليها امر تعديل نظام الاشياء الواقعي , لتحل محلها اشياء ( غير حقيقية ) لكن المهم انها اتخذت رغم زيفها

مصداقيـة مفترضـة تقـع فـوق الشـبهات , حتـى ان جعلت الواقع نفسـه ( مزيفـا ) منبوذا بما تبثـه مـن انمـاط الصـور الدلالية المدعومـة , بالشـكل والكلمـة , لتخلق اسـطورتها الخاصة التـي قـال عنهـا ( رولان بـارت ) : « ان الاسـطورة هـي نمـط دلالـي , انها كلام , شـكل « ,

وهكـذا تصبـح ( طريقـة ) ارسـال ( الصـورة ) هـي الأهـم ويتراجـع موضوعهـا الاصلـي, ويتـوارى الـى الخلـف او المجهـول , بتكتيـكات ( اغوائيـة ) بهلوانيـة , تذهـب بنـا بعيداً عن (الحقيقـة) التـي تخـدم النـاس , ويتـم تجاهـل هـذه الحقيقـة حيـن تفضـح ازلام متغطرسـين وسياسـيين طغـاة , وهـم يتمثلون أخلاق قبيحة و يسـوقونها الى الجمهور العـام آنياً ليظهروا وكأنهـم ( التاريـخ وهـو يصنع)!

وبذلـك يتسـترون علـى التفاهـة والغبـاء وهـو يسـتفحل من خـلال تدفق صـور الاخبار , السـريعة والسـهلة , والمسليّة .

## النتائج :

١. المنهجيـة: ( السـيميائية) تكشـف انظمـة سـردية وبصريـة، وتتمثـل الـدلالات فـي البنية الظاهـرة والعميقـة، بمسـتويات تأويليـة، وابعاد مفاهيميـة، وتفكك منظومتهـا المعرفية وقيمتها الثقافيـة، فـي ضـوء العلاقـة مابيـن (بنية الصـورة) و ( سـياقاتها) الدلالية .

٢. الوظيفـة : الجماليـة ( الذائقيـة) ، التي تصور (الاشـخاص) و (الاشـياء) بوضوح ، وتتيح حيـزاً دلاليـاً (للتعليـق اللفظـي) المكتـوب ، باتجـاه محدد ، يكشـف عـن (مغـزى) الصورة، و (الاعـلان) ، وتراعـي السـياق، لتقنع المتلقي وتسـتهويه .

٣. سـيميائية الصـورة هـي حقل انطولوجـي ، وميتافيزيقي، وعلمي « تتموضـع، او تتحاور « معنويـا» تتفاعـل فيـه انظمـة لغويـة ، ودلالية، واشـارية، ورمزية، لتصبح بنية «تشـفيرية» ، تسـرد وتوصـف وتدمر وتفعل :

« حدثاً درامياً « ،وهي تنقل ( المعنى) الى المتلقي .

٤. مرجعهـا : قـد يكـون (واقعـي ) يخص (الحياة) المعاشـة، لكنه قد ينزاح الـى بعد انطباعي ( رؤيـوي) بالمونتاج، والفوتوشـوب، والايقاع البصري..

٥. خطابهـا : فعاليـة توليديـة، في مسـار ينتقل مـن (التجريد) الى ( المحسـوس)، بصيرورة دلاليـة تتدفق،عبـر منحنيـات النص ( الكلمـة) ، وظاهرية ( الصورة).

٦. دراميتها : تتمثل في حبكة الحدث ( نسق الصورة–الكلمة)، المحزن والساخر ، وفيها و– اهواء سيميائية، (عواطف ، وافكار متناقضة وانفعالات محتدمة)

و– اسلوبها في ( تفرد نغمتها الخاصة في تناول الخبر).

و– بتركيب (مونتاجي) يجمع (اجزاء) الحادثة، بهدف محدد .

و– ايقاع ( يجمع) حجم الصورة، وحجم التعليق ومكانه .

٧. تأطيرها : يتحقق بالتوليف الذي ينقلها من ( الواقع) الى (الفن)، لتبدو وكأنها مرسومة، ومنحوته، ومعمارية،

و– بهندسة عناصرها البنائية من حيث ( التكوين) .

و – شعرية الفضاء وحلميته.

و–الايقاع المتناغم الداخلي الجامع مابين الصورة والكلمة.

٨. لاواقعيتها : باقتراح وضع جديد للمكان والزمان الحقيقيين من طريق (القطع) وايقاف استمراريتهما.

و– تأطير ( شظايا) المنظر ، على شكل فسيفساء .

و– تحفيز النشاط البصري بتفاعل حسي مستثار.

و–اقتراح « الوان» و « ملامح» ، تخص «الصورة» ولا تخص طبيعة مرجعيتها (الخارجية) كالذي حاولنا عرضه ومناقشته في (مبحثنا) هذا .

## المصادر :


١. جوناتان بيغنل / مدخل الي سيمياء الإعلام تر: ا.د.محمد شيا مجد – المؤسسة الجامعية–بيروت: ٢٠١١.

٢. د.جون تومليسون/العولمة والثقافة، تجربتنا الاجتماعية عبر الزمان والمكان عالم المعرفة –الكويت: ٢٠٠٨

٣. درويك موراي/ جغرافيات العولمة، قراءة في تحديات العولمة الاقتصادية والسياسية والثقافية, تر : د.سعيد منتاق عالم المعرفة –الكويت :٢٠١٣

٤. مجموعة مؤلفين / الترجمة والعولمة تر: ا.د.محمد خير محمود البقاعي منشورات صنفاف –بيروت :٢٠١٣

٥. ايناسيور امونه\الصورة وطغيان الاتصال ترجمة: نبيل الدبس\الثقافة–سوريا (دمشق): ٢٠٠٩